الحياة الاجتماعية

ان عاداتنا فى الوقت الحاضر لاتختلف عن عادات أجدادنا منذ أربعين قرنا ، واننا رغم كل تطور مازلنا محافظين على مجدنا القديم ؛ ونستطيع ان نتبين ذلك إذا نظرنا الى ما كانت عليه الحياة فى مدينة طيبة (الاقصر) ، التى كانت عاصمة بلادنا قديما ؛ ويظهر هذا التشابه جليا من نوع المساكن التى عاش فيها المصريون القدماء ، والتى نعيش فيها الآن ، فقد دلت اعمال الحفر على ان المدينة المصرية القديمة كانت تشبه تماما المدينة المصرية الآن ، فنظام المدن كنظام القرى التى نراها بما فيها من الشوارع الضيقة والمنازل المتلاصقة التى تبنى من اللبن وكانت غالبا تطلى بالجير الابيض او الملون وكانت تحتوى على طبقة او طبقتين

فى مقبرة كاتب يدعى « تحوتى نفر » عاش حوالى سنة ١٤٥٠ قبل الميلاد بمدينة الاقصر القديمة وصف حقيقى لمنزله المكون من طبقتين يمكن الوصول اليهما بسلالم لاتختلف عن سلالمنا اليوم

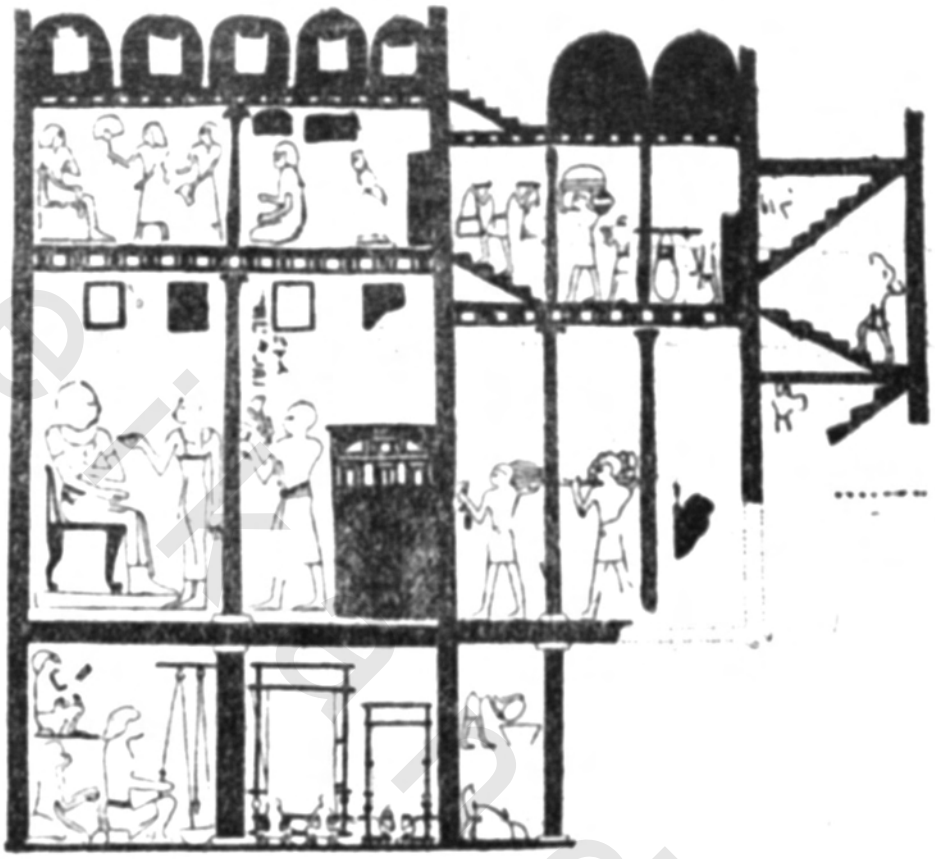

١ — منزل تحوتى نفر (عن بترى)

فى فنـاء المنزل كانت توجد عدة غرف للاشغال والطهى ، والدور الاول كان خاصا بالرجل لمقابلة أصدقائه ، والدور الثانى كان خاصا بالحريم كالعادة فى اغلب منازلنا الآن ، أما السطح فكانت توجد فوقه بعض مخازن من الطين لخزن الحبوب ، وأمام هـذه الخزن يكدس الوقود اللازم للمنزل من عيدان الذرة المجففة

واقراص من روث الحيوان وهذا هو المشاهد تماما بمنازل الفلاحين وكثير من المنازل فى المدن الصغيرة . وكذلك لم تختلف السطوح قديما عنها الآن ، فان النساء كن يجتمعن عليها للحديث ولاستنشاق الهواء بل للقيام باشغالهن من حياكة ونسج حتى الطهى . اما بيوت الأغنياء والنبلاء فلا تختلف عن مساكن الامراء والعظماء والاعيان فى هذه الايام، فكانت تبنى منازل منفردة «فيلا» داخل سور عظيم من الطـــين له باب على الشارع ، فاذا دخلت من هذا الباب وجدت نفسك امام « مصطبة » من الطين يجلس عليها بعض الخدم لمراقبة كل من يدخل الدار أو يخرج منها ، ثم تجد امام المنزل حديقة كبيرة حيث ينصب فيها عرش اشجار العنب والفاكهة والازهار وفى وسط هذه الحديقة بركة للماء ينمو فيهـا نبات البردى وتسبح فيها الطيور المائية كما يربى فيها البط وغيره وتعيش الاسماك ؛ ويوجد قريبا من هذه البركة « كشك » جميل يجلس فيه سيد المنزل منفردا او مع زوجته وأولاده ، للتمتع بذلك المنظر الجميل عندما يعوم البط أو تطير الطيور المائية على النباتات النامية فى الحوض أو عندما تخرج

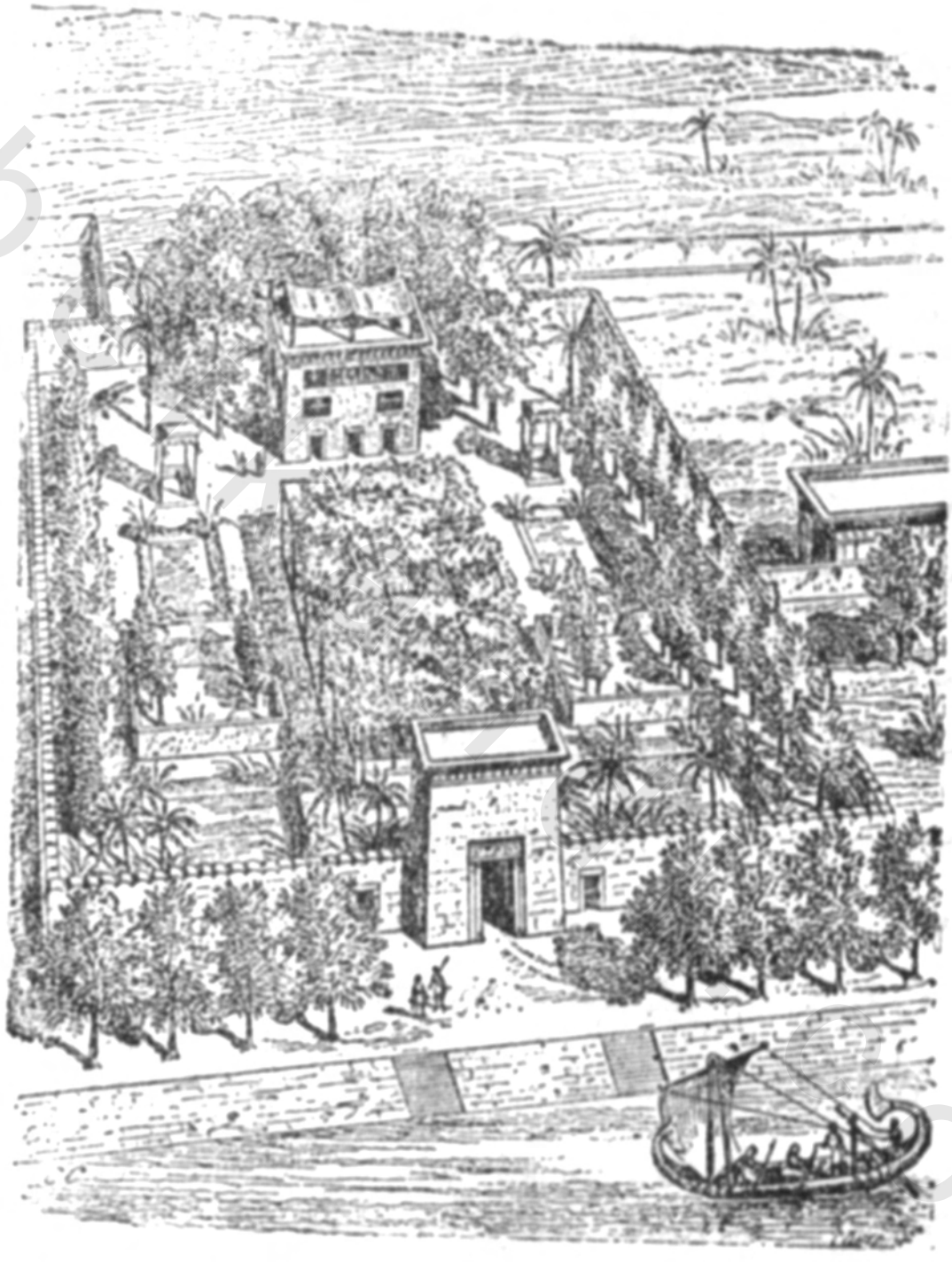

٢ — منزل تحيط به الحدائق (عن برستد)

هذه الطيور الى شاطئ البركة لتجفف ريشها فى الشمس . ولا يسعنى هنا الا أن انوه بما كان عليه المصريون القدماء من حب غريزى للطبيعة ، مما اضطرهم الى تصوير هذه المناظر الطبيعية الخلابة على جدران منازلهم ومقابرهم

ولم يقتصر المصرى القديم على الرياضة بمنزله بل كان أحب شىء اليه صيد الاسماك والبط والطيور المائية والتمساح وعجل البحر والصيد فى الصحراء ، فكان يخرج للصيد مصحوبا بزوجته واولاده وخدمه وكانت الزوجة تتزين بحليها وتقف جنبا الى جنب مع زوجها فى وسط قارب يخترق بهما المستنقعات التى تنمو فيها الاعشاب ونبات البردى حيث تعيش الطيور المائية وهناك يصيدون الاسماك ويدربون القط على قنص الطيور التى يلقيها السيد بمضربه (ويمكن مشاهدة مثل هذه المضارب فى المتحف المصرى) . وترينا بعض النقوش أن الزوجة كانت تصحب زوجها فى بعض حفلات الصيد الخطرة كصيد عجل البحر ، وأما فى أثناء صيد الغزال والنعام والارانب البرية فكان السيد

المصرى يصحب خدمه من الرجال إما سائرا أو راكبا عربة يجرها جوادان ومعه عدد من كلاب الصيد

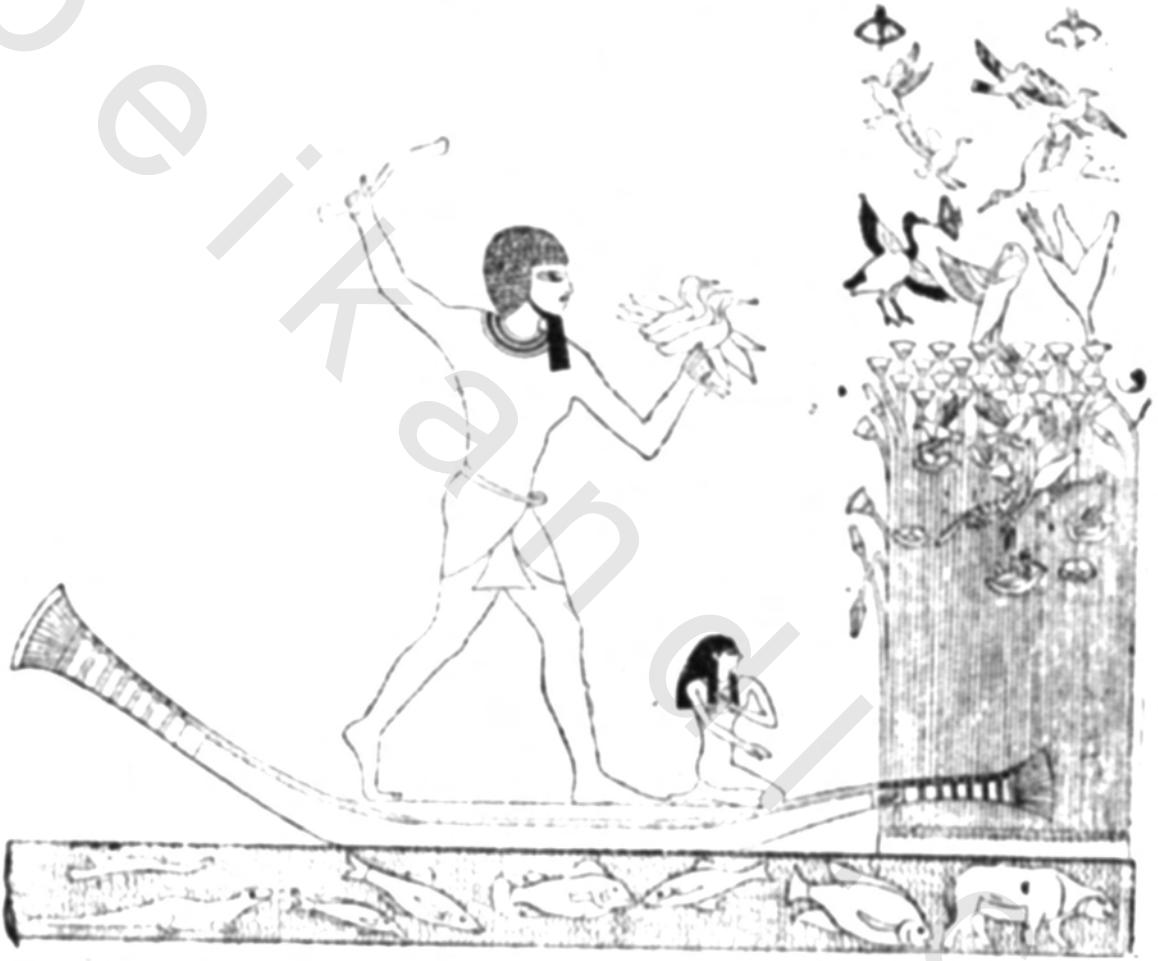

٣ ـ نبيل مصرى يصيد الطيور وبصحبته زوجته
(عن ويلكنسون)

ولنعد الآن مرة ثانية الى المنزل نفسه وهو كما تقدم تحيط به الحديقة من نواحيه فنجد فى جانب منه درجا يصعد الى الطابق الأول

obeikandl.com

حيث يوجد عدد من الحجرات سقوفها منقوشة ومرفوعة على أعمدة مزخرفة من الخشب ،والوان الجدران تكون غالبابيضاء تعلوها نقوش على هيئة أزهار بين كل باقة وأخرى شكل يمثل الطيور المائية .وتقع احدى هذه الغرف ذات الاعمدة فى الجهة

٤ — بهو أعمدة للاستقبال (عن بلا كمان)

الشمالية من المنزل لتكون خاصة بالجلوس صيفا ، وأخرى بالجهة الشرقية خاصة بالشتاء ، وبهاتين الغرفتين عدد من النوافذ الكبيرة، وبينهما عدة غرف تستعمل واحدة منها للاستقبال واخرى

للأكل . وتوجد عادة منضدة مرتفعة فى غرفة الاكل يوضع حولها عدد من الكراسى لسيد المنزل ولمن يليه فى المقام ،ويوجد ايضا بجانب احد جدران هذه الغرفة منضدة أخرى على شكل صندوق ، فاذا فتحتها وجدت فيها أدوات غسل الايدى لانه كان من عاداتهم ان يغسلوا ايديهم قبل الاكل وبعده . وكانت توضع بالغرفة مدفأة كالتى تستعمل الآن فى منازلنا شتاء ووقودها غالبا كان من الفحم .وبقية الغرف بالدور الارضى كانت تستعمل للنوم وكل غرفة كان يتصل بها حمام ومكان لغسل الوجه وكانت تتخذ بعض الغرف مخازن بها أدراج (أرفف) مبنية . أما «المطبخ» فكان فى مكان منعزل .وكان الدور الاعلى خاصا بالسيدات

وغرف المنزل كانت تغطى أراضيها اولا بالحصير ، توضع عليه سجاجيد ملونة وفى بعض الاحيان أبسطة ، ثم الكراسى ومواطئ الاقدام واحسنها كان يصنع من الابنوس أو الاخشاب الثمينة وكانت تطعم بالعاج والذهب او الزجاج الملون ، وكانت قواعد هذه الكراسى تنسج من سعف النخل كما نصنع كراسينا من الخيزران الآن، ويوضع عليها وسائد من الجلد أو القماش المنسوج

محشوة بريش النعام . وفى المساء كان الناس يستريحون على أرائك ذات قوائم تشبه أرجل الأسد . ومن الأدوات الأخرى صناديق الملابس وعلب حفظ المصوغات وكلها كانت مرصعة بالعاج والأحجار الكريمة والزجاج وغيره

وقد ذكرت فيما سبق ان الطابق العلوى كان خاصا بالحريم الا أنه فى حالة الغنى والثراء كان يخصص للسيدات وخادماتهن مكان منعزل .وقد وجدت بعض النقوش التى تبين لنا هذا النوع من المساكن وفيها كل أنواع التسلية من غناء وموسيقى ورقص

وكثيرا ما كانت تنشأ المؤامرات والدسائس من كثرة وجود المحظيات، ففى العهد الامبراطورى الاخير وقعت دسيسة دونت أخبارها فى أوراق البردى ، وقد دبر هذه المؤامرة نساء قصر سام وهو قصر الملك رعمسيس الثالث ، فان احدى زوجاته تآمرت على الايقاع به ، وكان غرضها اجلاس ابنها على العرش ، فدبرت مكيدة بواسطة اعوانها من زوجات رجال الحرس وحاولت تحريض الشعب ضد رعمسيس، ومع شدة حذرها شعر المخلصون للملك بأن هناك دسيسة مدبرة

والظاهر أن احد المتآمرين وشى بها وقدم للملك اسماء المحرضين والقائمين بتنفيذ الجريمة فحوكموا واعدم فريق منهم

وفى ذلك العهد من التاريخ المصرى كان سكان مدينة طيبة (الاقصر) خليطا من الاجانب والوطنيين كما هو الحال فى القاهرة الآن. وكان الكثير من الوظائف الكبيرة يسند الى الاجانب. وقد أفسد الترف والنعيم والرفه وورود الاجانب من الممالك التى حكمتها مصر أخلاق المصريين ذوى المراكز العاليه حتى تأثر بعض من فى المحاكم والمصالح بالنفوذ الاجنبي وتدهورت اخلاقهم وظهر ذلك جليا فى بعض القضاة الذين عينوا لمحاكمة المتهمين فى المؤامرة السابقة فاتضح ميلهم اليهم وانضم معهم بعض الضباط المكلفين بالحراسة وانهمكوا جميعا فى مسراتهم فى حفلة شراب مع بعض النساء الاجنبيات المتهمات فى المؤامرة. فما ان وصل الى علم الحكومه خبر هذا التدهور الاخلاقى حتى قبض عليهم جميعا وثبتت ادانتهم فصدر الحكم بتقطيع انوفهم وآذانهم

اما من جهة الحياة المنزلية المصرية العادية فى العصر القديم فكان الزوج يعيش بجانب زوجته عيشة سعيدة خالصة من الشوائب

فنرى الزوج بجانب زوجته فى مجموعة التماثيل والنقوش والكتابات التى تقابلنا فى كل مكان وكانت الزوجة غالبا تطوق زوجها بذراعها كما كان الزوج دائما يستصحب زوجته واولاده فى الحفلات والاجتماعات ويدل ذلك على أن المرأة المصرية لم تكن بمعزل عن الرجل فى الحياة الاجتماعية ، ففى الولائم والاعياد نجدها والرجل جنبا الى جنب

وتظهر العلاقة بين الزوج والزوجة من القصة الآتية وهى مكتوبة فى الورق البردى ومحفوظة بمتحف ليدن وهى أن رجلا مرض بعد وفاة زوجته ، فاستشار احد السحرة فى ذلك فاخبره هذا الساحر بكتابة خطاب الى روح زوجته ، فكتب لها الخطاب الآتى وذهب به الى مقبرتها فى احدى الحفلات وقرأه بصوت عال ثم ربطه فى تمثالها حتى يصل اليها

وها هى ترجمة الخطاب :

اى ذنب جنيته نحوك حتى أقع فى حالة الشر التى أنا بها ، أى ذنب جنيته نحوك حتى تساعدى الأرواح ضدى. وماذا فعلت معك من يوم زواجى بك حتى الآن .عند ما تزوجتك كنت رجلا

صغيرا ، ثم علوت من منصب الى آخر ، وما كنت أفكر فى هجرك ، ما فكرت أبدا فى ان أجلب الحزن الى قلبك ، فعلت ذلك وأنا صغير . ولما رقيت الى الدرجات العليا فى خدمة فرعون لم أهجرك قائلا دعها معك فى السراء والضراء ، ولم يكن يقابلنى احد الا فى حضرتك . ولم أقابل احدا دون رأيك ، قائلا فى نفسى لا تعمل الا حسب رغبتها ، والآن انت لاتسرين قلبى . فاحتج عليك حتى يعرف الناس الحق من الباطل . أما أحضرت لك قواد الجيش وقدموا انفسهم احتراما لك ، أو لم يحضروا كل ما غنموه اليك . وعندما مرضت أما أحضرت لك كبير الاطباء فبذل كل شىء فى سبيل شفائك . وقد سافرت مع فرعون فى الحرب مدة ثمانية أشهر فلم اذق للهناء طعما من أجلك ، ولما عدت وعلمت بوفاتك بكيت كثيرا واحضرت لك الكتان والملابس . انى لاأعلم يوما أنى قصرت فى شىء نحوك ،،

وكما رأينا مقدار حب الزوج لزوجته فان حب الابن لامه لم يكن بأقل من ذلك كما يتضح لنا من النصيحة الآتية لكاتب يدعى آنى ينصح بها ابنه (خنسوحتب) قال :

"ضاعف الخبز الذى تقدمه الى والدتك وعلها كما عالتك من قبل . فقد حملتك فى بطنها حملا ثقيلا ولم تساعدها فى ذلك الحمل، ولما ولدتك حملتك على رقبتها وأرضعتك ثلاث سنوات، ولما كبرت أرسلتك الى المدرسة لتتعلم الكتابة ، وكانت تنتظرك كل يوم بالخبز من منزلها ، فاذا ما أصبحت شابا وتزوجت واصبح لك منزل خاص ضع أمام عينيك كيف حملتك أمك وكيف أرضعتك وربتك فلا تغضبها لئلا تدعو عليك فيستجيب الله دعاها فتجلب عليك الشر"

وكما كان الولد يحب أمه ، كان كذلك يحب أباه . وقد كانت العادة ان يحل الأبن بعد أبيه فى مركزه وكان على الولد ان يخلد اسم أبيه ، ولا ينقطع هذا الحب بعد وفاتهما ، وهاك موعظة للكاتب آنى يعظ بها الابن قائلا :

"قدم لأبيك ولأمك اللذين يرقدان فى الغرب (اى الجبانة) الماء فان لم تفعل ذلك فسوف لايقدم لك ابنك الماء." وهذا معناه ان يرش الماء فوق القبر استجلابا للرحمة (ولا زالت هذه عادتنا عند الذهاب لزيارة القبور)

ولا صحة للفكرة الخاطئة التى كانت تقول ان المصريين القدماء كانوا يقضون حياتهم فى غم وهم وفى التحضير ليوم الدفن ، بل يجب أن نعرف انهم كانوا مرحين محبين للغناء والموسيقى وللقصص الشيقة كما كانوا مولعين بشرب النبيذ والجعة وكانوا كذلك يهتمون بالرياضة والفنون الجميلة والشعر .

وفى أحد النقوش وصف لوليمة أقيمت فى احدى قاعات منزل كبير ترى فيها الرجال والنساء معا جالسين على الكراسى وبينهم الكهنة الذين يعرفون برؤوسهم المحلوقة .وقبل الأكل كان

٥ — حفلة غذاء (من مقبرة بطيبة)

obeikandl.com

يمر عليهم خادم يحمل طستا وآخر يحمل ابريقا لغسل ايديهم ثم يمسح كل منهم يديه فى منشفته الخاصة ، وبعد ذلك يطلق البخور فى الغرفة ثم يتعطرون بالروائح والزيوت ويستمر البخور بالغرفة اثناء الأكل والشرب فاذا ماارتفعت حرارة المكان سالت العطور والأدهان وجرت فوق ملابسهم ، وانتشرت فى الحجرة رائحة زكية ، وكانوا يلبسون فى مثل هذه الحفلات ملابس من الكتان الأبيض مخططة بخطوط صفراء ، وكان النساء يزين رؤوسهن بأوراق أزهار اللوتس ويمسكن هذا النبات بأيديهن .

فاذا كانت الحفلة بعد غروب الشمس أضيئت الغرفة بقناديل مملوءة بزيت الخروع الممزوج بقليل من الملح وقد وضعت على آنية من الفخار مرتفعة عن الارض ،وكانت هذه المصابيح تعطى نورا أبيض . ثم تمد موائد محملة باصناف الطعام يجلس حولها الضيوف وتتقدم الجميع أكبر السيدات سنا فتقطع لحم البط او الأوز او فخذ العجل ، وكانت توضع أوانى النبيذ والجعة فى الغرفة على حوامل من الخشب حولها أكاليل الأزهار .وبعد الانتهاء من الاكل يعزف الموسيقيون على أعوادهم وتقوم الراقصات برقص لايختلف عما

نشاهده فى هذه الايام ، بينما يرشف المدعوون الخمر فى كؤوس من الذهب أو الفضة . وقد وجدت نقوش معناها أن سيدة فى احدى الولائم قالت لساقى الخمر : " اعطنى ثمانية عشر كأسا من النبيذ فانى أود ان أشرب حتى اثمل اذ جوفى جاف كالقش "

وفى أثناء الحفلة يقوم العازفون بتوقيع نغمات بالزمارة والآلات الموسيقية الأخرى كل بدوره ويتخلل ذلك رقص الراقصات وغناء المغنيين

وكانت هناك نصائح ضد الافراط فى شرب الخمور مثال ذلك نصيحة للحكيم آنى يحذر ابنه من شرور الخمر وهى : " لاتفخر بأنك تستطيع ان تشرب ابريقا من النبيذ لأنك تتمتم بكلام غير مفهوم من فمك . فاذا وقعت على الارض وكسر أى عضو منك لاتجد من يمد اليك يده . حتى ان اصدقاءك فى الشراب يقفون ويقولون " القوا بهذا السكير بعيدا "

وكان الشبان يميلون للعبث واللهو والمزاح، لذلك نجد مدرسا يعيب على أحد تلاميذه قائلا : أخبرونى بأنك تحاول هجر الكتابة

وأنك تجرى وراء الهزل وتذهب من شارع الى شارع حيث بيت الخمر فالخمر تخيف الناس منك وترسل روحك الى الهلاك . انت كالقذاف المكسور الذى لافائدة منه . انت منزل بلا خبز "

obeikandl.com